

تقرير سياسي:

لبنان في عين العاصفة .. هل ينجو؟

محمد يوسف أبو ليلي*

المقدمة:

يُعدّ حدث الانفجار الذي وقع يوم الرابع من آب/أغسطس الماضي في مرفأ بيروت تاريخياً ومفصلياً، إذ تسارعت بعده التطورات السياسية والأمنية والاقتصادية والمالية والاجتماعية في لبنان، وبأبعادها الإقليمية والدولية، التي تشابكت مواقفها، مع إجماعها على أن لا مساعدات مالية للبنان ما لم تُقدّم على إصلاحات جذرية في بُنية مؤسسات الدولة اللبنانية المهترئة، والغارقة بديون تُقدّر بمليارات الدولارات الأمريكية. ولكن في المقابل، فإن طلب الولايات المتحدة الأمريكية إجراءات اصلاحية من أجل الحصول على دعم دولي، وتحديداً من صندوق النقد الدولي، ما هي إلا "شّماعة". فالحصار الاقتصادي والمالي نهجٌ فرضته الولايات المتحدة الأمريكية، من أجل استهداف "حزب الله"، ضمن مسار استراتيجي رسمته إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترمب، والهادفة إلى حماية أمن "إسرائيل" وتعزيز تفوّقها الاستراتيجي في الشرق الأوسط.

انفجار مرفأ بيروت .. تبعات محلية ودولية

بينما يزرع لبنان تحت وطأة الازمات بشتّى أنواعها، وقع في الرابع من آب/أغسطس من العام الحالي، انفجار ضخم في مرفأ بيروت، أودى بحياة العشرات (190 قتيلاً) وجرح الآلاف (6500 جريح)، مخلّفاً دماراً هائلاً، وخسائر مالية قُدّرت ما بين الـ 10 إلى 15 مليار دولار أمريكي. وبعد ساعات على وقوع الانفجار، أعلن رئيس الحكومة اللبنانية حسان دياب أن الانفجار نتج عن 2750 طنّاً من مادة نترات الأمونيوم كانت مخزّنة منذ ست سنوات في مستودع "خطير"¹، وقُدّر فريق من جامعة شيفيلد قوّة الانفجار بحوالي 1.5 كيلو طن من مادة الـ تي إن تي، وهذا من شأنه أن يجعله واحد من أقوى الانفجارات غير النووية في التاريخ². دفع الانفجار الحكومة، وبغضون 24 ساعة، إلى تشكيل لجنة تحقيق يرأسها "دياب". لقد ترك الانفجار تبعات وتداعيات سياسية محلية ودولية. فعلى الصعيد المحلي، أقدم الرئيس حسان دياب على إعلان استقالة حكومته في 10 آب/أغسطس، أي بعد ستة أيام من وقوع انفجار مرفأ بيروت. وفي كلمة الاستقالة، أشار دياب أن "فساد المنظومة السياسية" هو الذي أنتج هذه الكارثة، مشيراً إلى أنّ "الخطر كبير من الطبقة التي تتحكم بمصير هذا البلد وتعتاش على الفتن"³.

* باحث في الشأن السياسي.

¹ ما الذي نعرفه عن انفجار مرفأ بيروت بعد مرور شهر على وقوع الكارثة؟ راجع: <https://www.france24.com/ar>

² ما مدى قوّة انفجار بيروت؟، راجع: <https://arabic.rt.com/photolines>

³ كارثة مرفأ بيروت تطيح بحكومة حسان دياب: إعلان استقالة، راجع: <https://www.alaraby.co.uk>

أما دولياً، فدفع الانفجار الرئيس الفرنسي "مانويل ماكرون" إلى زيارة بيروت بعد يومين من الحادثة، متخذاً سلسلة من الخطوات، من أهمها، إستضافة مؤتمر دولي للمانحين عبر تقنية الفيديو، والذي قدّم تعهدات بالمساهمة بمبلغ 300 مليون دولار من أجل إعادة الاعمار ودعم اللبنانيين⁴، ومعلناً عن زيارة ثانية بتاريخ الأول من أيلول، وذلك بهدف رسم مسار سياسي يُخرج لبنان من أزمتته الراهنة، مُطلقاً مبادرة سياسية بعد لقائه كافة رؤساء الكتل النيابية في قصر الصنوبر.

انتخاب أديب ومبادرة "ماكرون" الإنقاذية

بعد قرابة الشهر على انفجار مرفأ بيروت، وقبل وصول الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى بيروت، طُرح اسم الدبلوماسي اللبناني مصطفى أديب كمرشّح لرئاسة الحكومة اللبنانية المقبلة. وفي سابقة، وبغضون ساعات، تمت تسمية أديب لتشكيل الحكومة من قِبل أغلب الكتل النيابية، ليتم الإعلان رسمياً، ومن قِبل رئيس الجمهورية، ميشال عون، بتكليف سفير لبنان لدى ألمانيا، مصطفى أديب، بتشكيل حكومة جديدة بعد أن حصل على دعم غالبية النواب⁵.

وبعد ساعات من التكليف، وصل بتاريخ 31 من آب/اغسطس الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى بيروت⁶، لإطلاق مفاعيل المبادرة الفرنسية التي تم التوافق عليها مع الأصدقاء السياسيين الأساسيين في لبنان. وحملت المبادرة الفرنسية عناوين عديدة، أهمها الإسراع في تشكيل الحكومة برئاسة أديب، وبغضون خمسة عشرة يوماً، تكون مهمتها، بحسب ماكرون، إنقاذ لبنان وإطلاق الإصلاحات لمكافحة الفساد وإصلاح ملف الطاقة وإعادة الإعمار⁷. وهو ما أكدته الناطقة باسم وزارة أوروبا والشؤون الخارجية الفرنسية، أنيس فون دير مول، أن "الأولوية في لبنان يجب أن تكون للتشكيل السريع لحكومة مهمة يمكنها تنفيذ الإصلاحات الأساسية لنهوض البلاد"، وأن الأمر متروك للقوى السياسية "لترجمة هذا الالتزام إلى أفعال دون تأخير"⁸.

اعتذار أديب وعرقلة المبادرة الفرنسية

بعد مرور 15 يوماً على تكليف مصطفى أديب، ومحاويلته تشكيل حكومة مصغرة مؤلفة من اختصاصيين، صُدِم أديب بعدة مطبات اثناء التشكيل، لاسيّما في محاولته عدم السماح لأي من الكتل النيابية تسمية وزراءها من جهة، والتشديد على أن لا يتّصف أيّاً من وزراء حكومته بأبعاد سياسية أو حزبية، من جهة أخرى. محاولات "أديب" دفعت الثنائي الشيعي "حزب الله وحركة أمل" إلى فرملة تشكيل الحكومة، إذ أصرّ "الثنائي الشيعي" على تسمية وزارته الشيعة في الحكومة، وخاصة حقيبة المالية؛ وزاد تشدّد الثنائي بعد العقوبات الأمريكية التي فرضتها وزارة الخزانة الأمريكية على كلٍ من المعاون السياسي لرئيس

⁴ مؤتمر دعم لبنان: أبرز مواقف الدول وقيمة المبالغ المقدّمة والتبرعات، راجع <https://www.lebanon24.com/news/lebanon/733622>

⁵ تكليف مصطفى أديب رسمياً بتشكيل الحكومة اللبنانية، راجع: <https://www.bbc.com/arabic/middleeast-53969201>

⁶ شاهد: <https://www.youtube.com/watch?v=IRJeVhPhzao>

⁷ وصول ماكرون إلى لبنان في ثاني زيارة له بأقل من شهر، راجع: https://arabic.rt.com/middle_east

⁸ هل انتهى مفعول المبادرة الفرنسية؟. تشكيل الحكومة اللبنانية يصطدم بطريق مسدود، راجع: <https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/9/16/%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D9%86-%D9%85%D8%B4%D8%A7%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%AA%D8%B4%D9%83%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D9%88%D9%85%D8%A9-%D8%AA%D8%B5%D8%B7%D8%AF%D9%85>

مجلس النواب نبيه بري ووزير المالية السابق، علي حسن خليل، ووزير النقل السابق، يوسف فنيانوس، وذلك لمزاعم تورطهما في الفساد، وتقديم دعم لجماعة "حزب الله"⁹، وتصريحات العاهل السعودي، الملك سلمان بن عبد العزيز، الذي دعا لنزع سلاح حزب الله، مشدداً على أن تحقيق ما يتطلع إليه الشعب اللبناني الشقيق من أمن واستقرار ورخاء يتطلب تجريد هذا الحزب الإرهابي من السلاح"¹⁰.

دفع إصرار "الثنائي الشيعي"، وتعقيدات المشهد المحلي والإقليمي والدولي، إلى اعتذار مصطفى أديب عن تشكيل الحكومة. وقد برز أديب اعتذاره عن التشكيل لعدم تلبية شروطه و"تسييس" التشكيل¹¹، بينما شدد "الثنائي الشيعي" على أن "المبادرة الفرنسية" لا تتضمن بنوداً تتعلق بشكل وآلية تشكيل الحكومة، متهمة أطرافاً داخلية لبنانية بإغراق المبادرة الفرنسية في كل الأصول المتبعة، خصوصاً لجهة المداورة في الوزارات¹².

وبينما كان الساسة في لبنان بانتظار الموقف الفرنسي من اعتذار أديب، خرج الرئيس الفرنسي بمؤتمر صحفي، معلناً أن مبادرته تلقت "خيانة جماعية" من الطبقة السياسية اللبنانية¹³، إذ أسف ماكرون بسبب وقوع الشعب اللبناني "رهينة طبقة سياسية يسيطر عليها الفساد"¹⁴. وكان لافتاً في مؤتمره الصحفي هجومه اللاسع على "الثنائي الشيعي"، متهماً إياه بتعطيل المبادرة، ومخصّصاً جزءاً من كلمته للهجوم على "حزب الله" تحديداً، إذ اعتبر أن "حزب الله لا يمكن أن يكون في الوقت نفسه جيشاً يحارب "إسرائيل" وميليشيا في سوريا وحزباً يحظى باحترام في لبنان؛ عليه أن يثبت أنه يحترم جميع اللبنانيين. وفي الأيام الأخيرة أظهر بوضوح عكس ذلك"¹⁵!

التحرّك الأمريكي .. بين العصا والجزرة

ترافق التحرك الفرنسي في لبنان مع تحرك أمريكي موازٍ. إذ تتعامل الولايات المتحدة مع الملف اللبناني كملف مرتبط بمنهجها الاستراتيجي، باستهداف وإضعاف إيران وحلفائها في المنطقة. كما تتشدد واشنطن إزاء أي مشاركة سياسية من قبل "حزب الله" تحديداً، إذ تصنّفه منظمة "إرهابية"، على خلاف تصنيف باريس لحزب الله، حيث تصنّف جناحه العسكري بالإرهاب دون جناحه السياسي.

⁹ عقوبات أمريكية على وزيرين لبنانيين سابقين لعلاقتهم بحزب الله، راجع: <https://www.bbc.com/arabic/middleeast-54060862>

¹⁰ الملك سلمان يدعو لنزع سلاح "حزب الله": هذه علاقته بانفجار المرفأ، راجع: <https://www.lebanon24.com/news/lebanon/748915>

¹¹ لبنان: مصطفى أديب يعتذر عن تشكيل الحكومة "لانهاء التوافق"، راجع: <https://www.dw.com/ar/%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D9%86-%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89-%D8%A3%D8%AF%D9%8A%D8%A8-%D9%8A%D8%B9%D8%AA%D8%B0%D8%B1-%D8%B9%D9%86-%D8%AA%D8%B4%D9%83%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D9%88%D9%85%D8%A9-%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%B9%D8%AF%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%A7%D9%81%D9%82/a-55062725>

¹² «الثنائي الشيعي» يهجم «معرفي الداخل» بإجهاض المبادرة الفرنسية، راجع: <https://aawsat.com/home/article/2531056>

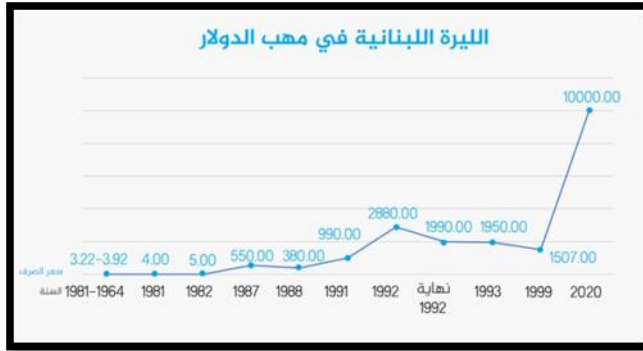
¹³ ماكرون يهاجم حزب الله: عليه احترام اللبنانيين، راجع: <https://www.nasnews.com/view.php?cat=41371>

¹⁴ "خيانة جماعية" .. ماكرون يهاجم حزب الله بعد فشل تشكيل حكومة لبنانية، راجع: <https://www.alhurra.com/lebanon/2020/09/27/>

¹⁵ المصدر السابق.

هذا الموقف المتشدّد تجاه "حزب الله" يُليّنهُ الأميركيون في حديثهم عن المبادرة الفرنسية. فقد أعلن وزير الخارجية الأميركي، مايك بومبيو، "أننا نعمل مع الفرنسيين في لبنان، ولدينا نفس الأهداف"¹⁶. لكن هذه الدبلوماسية الناعمة لم تدم طويلاً، إذ اتخذ الأميركيون إجراءات أكثر تشدداً، بدأت بتصريحات لمايك بومبيو، انتقد فيها فرنسا لامتناعها عن تصنيف حزب الله ك"منظمة إرهابية"، معتبراً أنه يجب على فرنسا الوقوف مع الحرّية وليس مع نظام إيران، لافتاً إلى أن حزب الله هو الوكيل الإيراني في لبنان لما يقرب من 3 عقود¹⁷؛ إضافة إلى قرار وزارة الخزانة الأمريكية بفرض عقوبات على كبار المسؤولين في لبنان، وتصريحات ديفيد شينكر الواضحة، بأن "حزب الله استفاد من الفساد في لبنان، واعتمد عليه الفساد من خلال عدم دفع رسوم المرفأ وامتناعه عن دفع رسوم الجمارك، وتقويض النظام المصرفي"¹⁸.

الأزمة الاقتصادية والنقدية



بعد مرور سنة ونيف على بدء التحركات الاحتجاجية (17 تشرين الاول 2019)، لم يتوقف النزيف الاقتصادي والنقدي في لبنان. إذ إن الليرة اللبنانية انهارت وفقدت من قيمتها قرابة الـ 80% مقابل الدولار الأمريكي بسبب التضخم، وانهارت معها القدرة الشرائية، إذ بلغت مستويات لم يشهدها لبنان منذ عقود (بحسب خبراء فإن الأسعار ارتفعت أربعة مرّات

عن سعرها). ومع الانفجار الكارثي الذي حلّ بمرقأ بيروت، زادت وتيرة الانهيار الاقتصادي، إذ خسر لبنان جزء الانفجار، بحسب ما كشفه المدير الإقليمي للبنك الدولي، ساروج كومار جاه، أنّ الخسائر الأولية التي سببها انفجار مرفأ بيروت بلغت نحو 8.1 مليارات دولار، تشمل أضرار البنى التحتية، والخسائر التي تكبدتها الحركة الاقتصادية¹⁹.

وعن نتائج الانهيار الاقتصادي، كشف المدير التنفيذي لعمليات البنك الدولي، أكسل فان تروتسنبورغ، أن نسبة الفقر وصلت في لبنان إلى 45%²⁰. أما عن البطالة، فالأرقام تتحدث عن 1.2 مليون لبناني عاطل عن العمل. وبحسب توقعات صندوق النقد الدولي، فإن الاقتصاد اللبناني سينكمش بنسبة 12% حتى نهاية عام 2020 مع استمرار ارتفاع أسعار المواد الغذائية²¹. وأفاد إحصاء للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي بخروج 21 ألفاً و450 أجيلاً من سوق العمل، في حين تباطأت حركة التوظيف في العام 2020 بنسبة 71%.

¹⁶ صحيفة الأخبار اللبنانية، راجع: <https://www.al-akhbar.com/Politics/293379>

¹⁷ بسبب حزب الله.. بومبيو ينتقد فرنسا!، راجع <https://www.lebanon24.com/news/lebanon/746056>

¹⁸ شينكر من لبنان، ميليشيات حزب الله إرهابية وغطت الفساد.

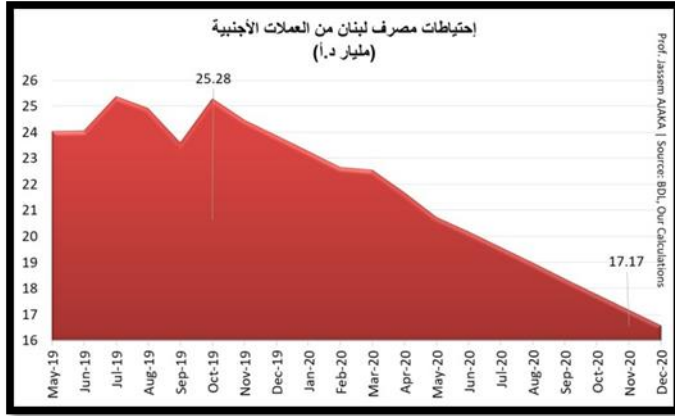
¹⁹ البنك الدولي: لبنان بحاجة عاجلة إلى 2.2 مليار دولار للنهوض وإعادة الإعمار، راجع: www.alaraby.co.uk/البنك-الدولي-لبنان-بحاجة-22-مليار-دولار-للنهوض-وإعادة-الإعمار

²⁰ مسؤول بالبنك الدولي يكشف لـ DW خسائر لبنان وشروط مساعدته، راجع: <https://www.dw.com/ar>

²¹ IMF sees crisis-hit Lebanon's output shrinking 12% in 2020, at: <https://reuters/31f1j1y>

رياض سلامة ورفع الدعم

ما يشوب الاقتصاد اللبناني أنه "مدولر"، أي أنه يعتمد على تدفق الدولار في السوق لإنعاش الحركة الاقتصادية، وذلك في ظلّ افتقار لبنان، لقدراته الإنتاجية والتصديرية. وبالأرقام فإن لبنان، استورد ما بين الأعوام 2011 و2019 نحو 183 مليار دولار، في المقابل تصدير ما قيمته 31 مليار عن الفترة نفسها بما يعني أنّ خسارته للعمولة الأجنبية بلغت 152 مليار دولار²². ومع تفاقم الأزمة المالية في لبنان، الناتجة عن الفساد المستشري داخل مؤسسات الدولة اللبنانية وتهريب أموال بعض



المسؤولين والمتنفذين أموالهم إلى خارج لبنان، وشبكة الحصار الاقتصادي والمالي التي تفرضها واشنطن لمآرب سياسية، أديا إلى شحّ الدولار من السوق، ووضع البنك المركزي أمام تحديات لتغطية نفقات السلع الأساسية (المحروقات - الطحين - الأدوية) من ما يسمّيه حاكم مصرف لبنان "رياض سلامة" باحتياطاته النقدية الأجنبية، والتي بلغ بها الحكومة اللبنانية، بقوله إن حجم الاحتياط في المصرف

المركزي يكفي حاجات لبنان لأشهر قليلة (ثلاثة أشهر)، إذ يملك مصرف لبنان 19.5 مليار دولار، وإن الاحتياطي الإلزامي في البنك المركزي يجب أن يكون 17.5 مليار دولار، بما يعني أن الهامش المسموح التصرف به هو فقط 2 مليار دولار؛ وهذا ما دفع مصدر رسمي في مصرف لبنان المركزي، للقول إن المصرف "لا يستطيع مواصلة دعم الوقود والقمح والدواء لأكثر من 3 أشهر مقبلة في ظل تناقص احتياطيات العملات الأجنبية"²³.

²² بالأرقام: لوائح الاستيراد تكشف المستور... هكذا أفلسنا...، راجع: <https://www.lebanonfiles.com/articles>

²³ أزمة لبنان.. رفع الدعم يهدد الفقراء، راجع: <https://al-sharq.com/article/09/09/2020>

الخاتمة

❖ في ظل الاستقطاب الإقليمي والدولي، والصراع والتنافس على حجز موطئ قدم في شرق المتوسط، فإن لبنان سيبقى في عين العاصفة، إذ إن واشنطن مُصرّة على إضعاف حزب الله وحلفائه، من خلال تنفيذ رزمة من العقوبات تطالهم. وبطبيعة الحال، سيتأثر لبنان برمته. وبالرغم من تدخل فرنسا لإيجاد حلّ إنقاذي للبنان، إلا أن الولايات المتحدة لم ولن تسمح لأي لاعب دولي أو إقليمي بتعزيز نفوذه السياسي أو الاقتصادي فيه، وستبقى ترفع من منسوب الضغط والحصار، لاعتبارات عدّة، أهمها أن الولايات المتحدة اعادت رسم الخارطة السياسية للشرق الأوسط، وأن إدارة ترمب حازمة في تطبيق استراتيجيتها، وبأسلوب غير مألوف، ضمن مسار هدفه إضعاف قوى المقاومة وتعزيز تفوّق الكيان الصهيوني الاستراتيجي، وضمان أمنه لعقود طويلة، وإنهاء ملف اللاجئين الفلسطينيين من خلال توطيئهم في أماكن إقامتهم، وتوطيئ ما تبقى من اللاجئين السوريين في لبنان، وإحكام السيطرة على الثروات النفطية والغاز.

❖ يراهن الكثير في لبنان على الانتخابات الأمريكية التي ستجري في 3 تشرين الثاني 2020، ويرتبط رهانهم على خسارة دونالد ترمب في الانتخابات لصالح المرشّح عن الحزب الديمقراطي جو بايدن. ولكن، إذ ما نظرنا وراقبنا وعلى مدى عقود أداء السياسة الخارجية الأمريكية، فإن التوجه الاستراتيجي لصياغة القرار في الولايات المتحدة يبقى ثابتاً، والاختلاف يكمن بالتكتيك؛ ولذلك، فإنه من غير المتوقع أن تغيّر الولايات المتحدة من سياستها الخارجية الاستراتيجية إزاء لبنان أو المنطقة في حال خسر ترمب الجولة الانتخابية المقبلة، لأن المعيار واضح وثابت، ويكمن في ضمان أمن "إسرائيل" وجعلها اللاعب الإقليمي الأول في الشرق الأوسط.

❖ لا شك أن الأحزاب السياسية اللبنانية الرئيسية تتخبّط في أزمة كبيرة وخطيرة، في ظل الحديث عن انهيار أمني وسياسي واجتماعي ومؤسّساتي، والنتيجة عن الحصار المالي والاقتصادي المفروض على لبنان وفشل المساعي الفرنسية بايجاد مخرج للأزمة. وقد حدّر أكثر من مسؤول أمني وسياسي أن الانفجار الاجتماعي والأمني سيقود إلى "حرب أهلية"، وأن منسوب وحجم السرقات والجرائم الجنائية ستزداد بشكل كبير؛ كما ستزداد معها نسب البطالة والفقر، وستقود المئات وربما الآلاف من العائلات إلى الهجرة بطرق غير شرعية، وهو "الجحيم" الذي حدّر منه رئيس الجمهورية ميشال عون.